قال المصنف رحمه الله:

«وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها، فهي ممتنعة في حق الله تعالى؛ كالموت، والجهل، والنسيان، والعَجز، والعَمى، والصمم، ونحوها؛ لقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}[الفرقان:58]، وقوله عن موسى: {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[طه:52]، وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}[فاطر:44]، وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}[الزخرف:80]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: «**إنَّه أعور، وإنَّ ربكم ليس بأعور**»، وقال: «**أيُّها الناس، اربعُوا على أنفسِكم؛ فإنَّكم لا تَدعون أصمَّ ولا غائبًا**».

وقد عاقب الله- تعالى- الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}[المائدة:64] ، وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[ال عمران:181].

ونزَّه نفسه عما يَصِفُونه به من النقائص، فقال سبحانه: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الصافات:180-182]، وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[المؤمنون:91]».

الشرح

قال ابن القيم: «فله مِن كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده عن شائبة عيب أو نقص. فله مِن صفة الإدراكات: العليم الخبير، دون العاقل الفقيه. والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر...»(1).

فقول أهل السنة في الصفات مبنيٌّ على أصلين:

أحدهما: أنَّ الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا؛ كالسِّنَة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يُماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات»(2).

ومن النصوص التي توضح ذلك ما يلي:

أ- قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى:11]؛ ففي مقام النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وفي مقام الإثبات: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ب- قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}[الفرقان:58]؛ ففي مقام الإثبات: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ}؛ وفي مقام النفي: {الَّذِي لا يَمُوتُ}.

ج- قوله تعالى: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}[البقرة:255]؛ ففي مقام الإثبات: {اللَّهُ} ، و{الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، وفي مقام النفي: {لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ، و{لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ}.

---

(1) «بدائع الفوائد» (1/ 168).

(2) «منهاج السنة» (2/ 523).

وأما من السنة، ففي مقام الإثبات قوله صلى الله عليه وسلم: «**يَنزل ربُّنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا**»[3] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي غلبت غضبي**»[4].

وفي مقام النفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**ارْبَعُوا على أنفسكم[5]؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**»[6]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله تعالى ليس بأعور**»[7]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام**»[8].

وإثباتُ الصفة أو نفيُها مردُّه إلى وُرود ذلك نصًّا في القرآن أو السُّنَّة الصحيحة، إذ الصفاتُ توقيفية كالأسماء، ولذلك يقول السفاريني: «لا خلاف بين العقلاء أن الله- سبحانه وتعالى- متصف بجميع صفات الكمال، منزه عن جميع صفات النقص، لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص؛ فتراهم يُثبت أحدهم لله ما يظنُّه كمالًا، وينفي الآخرُ عينَ ما أثبته هذا لظنِّه نقصًا، وسبب ذلك: أنهم سَلَّطوا الأفكار على ما لا سبيل إليه من طريق الفكر، فإن الله- تعالى- خلق العقول، وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حدًّا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفَّت النظر حقه، أصابت بإذن

---

(3) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (7553)، ومسلم (2751) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) أي: ارفقوا بأنفسكم.

(6) أخرجه البخاري (2992) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(7) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (3057) ومسلم (2931) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(8) أخرجه مسلم (179) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حدَّه الله لها، رَكِبَت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يَثبت لها قدم، ولم ترتكن على أمر تطمئن إليه، فإن معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بإدراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة؛ فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[9].

[9] «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، 1402هـ- 1982م.